فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت من عقوبتك فتكاسلت
قال اذهب فانت حر لوجه الله وحكى ان اباعثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما
وافا باب الدار قال له الرجل يا استاذ ليس وجه في دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف
ابو عثمان فلما وافا منزله عاد اليه الرجل وقال يا استاذ ندمت واخذ يعتذر وقال احضر الساعة
فقام معه فلما وافا داره قال مثل ما قال في الاول ثم فعل ذلك به اربع مرات وابو عثمان ينصرف
ويحضر فقال له يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه
فقال ابو عثمان تمدحني على خلق تجده في الكلاب فان الكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر قال
الحارث بن وصي يعجبني من القراء كل فصيح مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس
فلا كثر الله في المسلمين مثله ومن محاسن الاخلاق ما حكي عن القاضي يحيى بن اكثم قال كنت نائما
ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع ان يصيح بغلام يسقيه وانا نائم فينغص علي نومي
فرايته وقد قام يمشي على اطراف اصابعه حتى اتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان
معلقة نحو ثلثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشي على اطراف اصابعه حتى قرب
الفراش الذي انا فيه يخطي خطوات خائف لئلا ينبهني حتى صار على فراشه ثم رايته آخر الليل
قد قام يبول وكان يقعد في اول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان انتبه فيصيح بالغلام فلما تحركت
وثب قائما وصاح بالغلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف كان
مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك يا امير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت
ان اصيح بالغلام فازعجك فقلت يا امير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء واوجب
لك سيرتهم فهناك الله بهذه النعمة واتمها عليك فامر لي بالف وانصرفت قال وبت عنده
ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت ارمقه وهو يغطي فمه بكم قميصه يدفع به السعال
حتى غلبه فسعل واكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما في
بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فناخذ منه الطاقة والطاقتين ونقول للقيم اصلح هذا
الحوض ولا تغرس في هذا الحوض شيئا من البقول قال يحيى ومشينا في البستان من اوله الى آخره
وكنت انا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني اتحول الى الظل ويكون هو في الشمس

فامتنع

فامتنع من ذلك حتى اذا رجعنا بعد ان بلغنا آخر البستان قال والله يا يحيى لتكونن
مكاني واكون مكانك حتى اخذ نصيبي من الشمس كما اخذت وتاخذ نصيبك من
الظل كما اخذت فقلت والله يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك من هول المطلع بنفسي
لفعلت فلم يزل حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال
بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت انا فانه لا خير في صحبة من لا ينصف
فانظر الى اخلاقهم رضي الله عنهم ما احسنها والى افعالهم ما ازينها نسال الله ان يحسن
اخلاقنا وان يبارك لنا في ارزاقنا انه على كل شيء قدير

الباب الرابع والعشرون في المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة

وما اشبه ذلك اعلم ان المودة والاخوة سبب التالف والتالف سبب القوة
والقوة حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغبات وتنجح المقاصد وقد من
الله على قوم وذكرهم نعمته عندهم بان جمع قلوبهم على الصفا وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء
فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
ووصف الجنة وما اعد فيها من الكرامة لاوليائه اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاخاء وندب اليه وآخا بين الصحابة وقد ذكر الله تعالى اهل جهنم وما
يلقون فيها من الالم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال علي كرم الله وجهه
الرجل بلا اخ كشمال بلا يمين وانشدوا

وما المرء الا باخوانه • كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة • ولا خير في الساعد الاجذم

قال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب
الحدثان وعون في السراء والضراء ومن كلام علي رضي الله عنه شعر

عليك باخوان الصفاء فانهم • عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا الف خل وصاحب • وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب اذا لم تكن مثله شانته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)